

فتح القدير

وكان الرسل قصدوا بهذا الأمر للمؤمنين الأمر لهم أنفسهم قصدا أوليا ولهذا قالوا : 12 - { وما لنا أن لا نتوكل على الله } أي وأي عذر لنا في ألا نتوكل عليه سبحانه { وقد هدانا سبلنا } أي والحال أنه قد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه من هدايتنا إلى الطريق الموصل إلى رحمته وهو ما شرعه لعباده وأوجب عليهم سلوكه { ولنصبرن على ما آذيتمونا } بما يقع منكم من التكذيب لنا والاقتراحات الباطلة { وعلى الله } وحده دون من عداه { فليتوكل المتوكلون } قيل المراد بالتوكل الأول استحداثه وبهذا السعي في بقائه وثبوته وقيل معنى الأول : إن الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم أن يتوكلوا في حصولها على الله سبحانه لا علينا فإن شاء سبحانه أظهرها وإن شاء لم يظهرها ومعنى الثاني : إبداء التوكل على الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع في قوله : { وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم } قال : أخبرهم موسى عن ربه أنهم إن شكروا النعمة زادهم من فضله وأوسع لهم من الرزق وأظهرهم على العالم وأخرج ابن جرير عن الحسن لأزيدنكم قال : من طاعني وأخرج ابن المبارك وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن علي بن صالح مثله وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سفيان الثوري في الآية قال : لا تذهب أنفسكم إلى الدنيا فإنها أهون عند الله من ذلك ولكن يقول لئن شكرتم لأزيدنكم من طاعني وأخرج أحمد والبيهقي عن أنس قال : [أتى النبي A سائل فأمر له بتمرة فلم يأخذها وأتاه آخر فأمر له بتمرة فقبلها وقال : تمرة من رسول الله فقال للجارية : اذهبي إلى أم سلمة فأعطيه الأربعين درهما التي عندها] وفي إسناده أحمد عمارة بن زاذان وثقه أحمد ويعقوب بن سفيان وابن حبان وقال ابن معين : صالح وقال أبو زرعة : لا بأس به وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمتين وقال البخاري : ربما يضطرب في حديثه وقال أحمد : روي عنه أحاديث منكرة وقال أبو داود : ليس بذاك وضعفه الدارقطني وقال ابن عدي : لا بأس به وأخرج البخاري في تاريخه والضياء المقدسي في المختارة عن أنس قال : قال رسول الله A : [من ألهم خمسة لم يحرم خمسة وفيها : ومن ألهم الشكر لم يحرم الزيادة] وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأغر أبي هريرة قال : قال رسول الله A : [أربع من أعطيهن لم يمنع من الله أربعاً وفيها : ومن أعطي الشكر لم يمنع الزيادة ؟] ولا وجه لتقييد الزيادة بالزيادة في الطاعة بل الظاهر من الآية العموم كما يفيد جعل الزيادة جزاء للشكر فمن شكر الله على ما رزقه وسع الله عليه في رزقه ومن شكر الله على ما أقدره عليه من طاعته زاده من طاعته ومن شكره على ما أنعم عليه به من الصحة

زاده اﻻ صﺤﻪ ونﺤو ذﻟﻚ وأﺧﺮﺝ ﻋﺒﺪ ﺑﻦ ﺣﻤﻴﺪ وﺍﺑﻦ ﺟﺮﻳﺮ وﺍﺑﻦ ﺍﻟﻤﻨﺪﺭ وﺍﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺣﺎﺗﻢ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻣﺴﻌﻮﺩ ﺃﻧﻪ ﻛﺎﻥ ﻳﻘﺮﺃ { ﻭﺍﻟﺬﻳﻦ ﻣﻦ ﺑﻌﺪﻫﻢ ﻻ ﻳﻌﻠﻤﻬﻢ ﺇﻻ ﺍﻻ } ﻭﻳﻘﻮﻝ : ﻛﺬﺏ ﺍﻟﻨﺴﺎﺑﻮﻥ وأﺧﺮﺝ ﺍﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺷﻴﺒﻪ وﺍﺑﻦ ﺍﻟﻤﻨﺪﺭ ﻋﻦ ﻋﻤﺮﻭ ﺑﻦ ﻣﻴﻤﻮﻥ ﻣﺜﻠﻪ وأﺧﺮﺝ ﺍﺑﻦ ﺍﻟﺰﺭﻳﺲ ﻋﻦ ﺃﺑﻲ ﻣﺠﻠﺰ ﻗﺎﻝ : ﻗﺎﻝ ﺭﺟﻞ ﻟﻌﻠﻲ ﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﻃﺎﻟﺐ : ﺃﻧﺎ ﺃﻧﺴﺐ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻗﺎﻝ : ﺇﻧﻚ ﻻ ﺗﻨﺴﺐ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻓﻘﺎﻝ ﺑﻠﻰ ﻓﻘﺎﻝ ﻟﻪ ﻋﻠﻲ : ﺃﺭﺃﻳﺖ ﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﻋﺎﺩﺍ ﻭﺋﻤﻮﺩ ﻭﺃﺻﺤﺎﺏ ﺍﻟﺮﺱ ﻭﻗﺮﻭﻧﺎ ﺑﻴﻦ ﺫﻟﻚ ﻛﺜﻴﺮﺍ } ﻗﺎﻝ : ﺃﻧﺎ ﺃﻧﺴﺐ ﺫﻟﻚ ﺍﻟﻜﺜﻴﺮ ﻗﺎﻝ : ﺃﺭﺃﻳﺖ ﻗﻮﻟﻪ : { ﺃﻟﻢ ﻳﺄﺗﻜﻢ ﻧﺒﺂ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻣﻦ ﻗﺒﻠﻜﻢ ﻗﻮﻡ ﻧﻮﺥ ﻭﻋﺎﺩ ﻭﺋﻤﻮﺩ ﻭﺍﻟﺬﻳﻦ ﻣﻦ ﺑﻌﺪﻫﻢ ﻻ ﻳﻌﻠﻤﻬﻢ ﺇﻻ ﺍﻻ } ﻓﺴﻜﺖ وأﺧﺮﺝ ﺃﺑﻮ ﻋﺒﻴﺪ وﺍﺑﻦ ﺍﻟﻤﻨﺪﺭ وﺍﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺣﺎﺗﻢ ﻋﻦ ﻋﺮﻭﻩ ﺑﻦ ﺯﺑﻴﺮ ﻗﺎﻝ : ﻣﺎ ﻭﺟﺪﻧﺎ ﺃﺣﺪﺍ ﻳﻌﺮﻑ ﻣﺎ ﻭﺭﺍﺀ ﻣﻌﺪ ﺑﻦ ﻋﺪﻧﺎﻥ وأﺧﺮﺝ ﺃﺑﻮ ﻋﺒﻴﺪ وﺍﺑﻦ ﺍﻟﻤﻨﺪﺭ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻗﺎﻝ : ﺑﻴﻦ ﻋﺪﻧﺎﻥ ﻭﺇﺴﻤﺎﻋﻴﻞ ﺛﻻﺛﻮﻥ ﺃﺑﺎ ﻻ ﻳﻌﺮﻓﻮﻥ وأﺧﺮﺝ ﺍﺑﻦ ﺟﺮﻳﺮ وﺍﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺣﺎﺗﻢ ﻋﻨﻪ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ : { ﻓﺮﺩﻭﺍ ﺃﻳﺪﻳﻬﻢ ﻓﻲ ﺃﻓﻮﺍﻫﻬﻢ } ﻗﺎﻝ : ﻟﻤﺎ ﺳﻤﻌﻮﺍ ﻛﺘﺎﺏ ﺍﻻ ﻋﺠﺒﻮﺍ ﻭﺭﺟﻌﻮﺍ ﺑﺄﻳﺪﻳﻬﻢ ﺇﻟﻰ ﺃﻓﻮﺍﻫﻬﻢ { ﻭﻗﺎﻟﻮﺍ ﺇﻧﺎ ﻛﻔﺮﻧﺎ ﺑﻤﺎ ﺃﺭﺳﻠﺘﻢ ﺑﻪ ﻭﺇﻧﺎ ﻟﻔﻲ ﺷﻜﻚ ﻣﻤﺎ ﺗﺪﻋﻮﻧﺎ ﺇﻟﻴﻪ ﻣﺮﻳﺐ } ﻳﻘﻮﻟﻮﻥ : ﻻ ﻧﺼﺪﻗﻜﻢ ﻓﻴﻤﺎ ﺟﺌﺘﻢ ﺑﻪ ﻓﺈﻥ ﻋﻨﺪﻧﺎ ﻓﻴﻪ ﺷﻜﺎ ﻗﻮﻳﺎ وأﺧﺮﺝ ﻋﺒﺪ ﺍﻟﺮﺯﺍﻕ ﻭﺍﻟﻔﺮﻳﺎﺑﻲ ﻭﺃﺑﻮ ﻋﺒﻴﺪ وﺍﺑﻦ ﺟﺮﻳﺮ وﺍﺑﻦ ﺍﻟﻤﻨﺪﺭ وﺍﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺣﺎﺗﻢ ﻭﺍﻟﻄﺒﺮﺍﻧﻲ ﻭﺍﻟﺤﺎﻛﻢ ﻭﺼﺤﺤﻪ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻣﺴﻌﻮﺩ : ﻓﺮﺩﻭﺍ ﺃﻳﺪﻳﻬﻢ ﻓﻲ ﺃﻓﻮﺍﻫﻬﻢ ﻗﺎﻝ : ﻋﺰﻭﺍ ﻋﻠﻴﻬﺎ ﻭﻓﻲ ﻟﻔﺰ : ﻋﻠﻰ ﺃﻧﺎ ﻣﻠﻬﻢ ﻏﻴﻄﺎ ﻋﻠﻰ ﺭﺳﻠﻬﻢ